

محاضرات وندوات مصورة - قطر - مسجد كتارا . سلسلة المنارات - الحلقة (٠١) : كليات الدين : العقيدة - السلوك : الاستقامة . العمل الصالح - الاتصال بالله ومنه نعم الأمن والتوفيق والسكينة - صور من آياته الكونية.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-٠٢-٢٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويتته، وارضَ عتًا وعنهم يا ربّ العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وُحول الشهوات إلى جنّات القربات.

آيات في القرآن تصف من شرد عن منهج الله :

أيها الأخوة الكرام؛ درسنا جميعاً في مراحل التعليم أن الكون جماد ونبات وحيوان وإنسان، من مسلمات ما تعلمناه أن الجماد شيء مادي له وزن، وله أبعادٌ ثلاثة، بماذا يتميز عليه النبات؟ بالنمو، وبماذا يتميز الحيوان عن النبات؟ بالحركة، أما هذا الإنسان المخلوق الأول المكرم والمكلف بماذا يزيد عن كل هؤلاء؟ أودع الله فيه قوة إدراكية هي العقل، هذه القوة الإدراكية تلبى بطلب العلم، فالإنسان إذا عزف عن طلب العلم، وعاش لحظته، وعاش غرائزه وشهواته، هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به.

الآن استمعوا إلى آيات القرآن الكريم تصف هذا الإنسان الذي شرد عن الله، وعاش شهواته وغرائزه، هذا الإنسان وصفه في القرآن الكريم:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

الصحة طيبة، النبض ثمانون، الضغط ٨/١٢ نعمة، لأنه عزف عن طلب العلم، لأنه نسي الآخرة، لأنه نسي سرّ وجوده وغاية وجوده، هذا الإنسان الذي غرق في شهواته هو عند الله ميت، قال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

أو قال تعالى:

﴿ كَانَهُمْ حُتُوبٌ مُّسَدَّدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

أو قال تعالى:

﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان: ٤٤]

أو قال تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

[سورة الجمعة: ٥]

أوصاف الذين شردوا عن الله في القرآن الكريم، معنى ذلك أن الدين ليس وردة تنتزى بها ولكنه هواء تستنشقه، الحاجة إلى الدين كالحاجة إلى الوجود.

الإنسان هو الأول رتبة عند الله لأنه قبل حمل الأمانة :

أيها الأخوة الكرام؛ لذلك أودع الله في الإنسان قوة إدراكية، نأكل ونشرب ونتزوج ونسافر، لا بد من أن نعرف من نحن، الإنسان هو المخلوق الأول لأنه في عالم الأزل قبل حمل الأمانة، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

لأنه قبل حمل الأمانة كان عند الله المخلوق الأول رتبة، ولأنه قبل حمل الأمانة، قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾

[سورة الجاثية : ١٣]

والسماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون، والكون ما سوى الله، كل شيء مخلوق مسخر لك أيها الإنسان لأنك قبلت حمل الأمانة، فالإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، فإذا غذى الإنسان عقله بالعلم وقلبه بالحب وجسمه بالطعام والشراب تفوق، بل حقق الهدف من وجوده.

الفرق بين النجاح و الفلاح :

بالمناسبة ما الفرق بين النجاح والفلاح؟ الإنسان قد ينجح في جمع المال، يوجد أشخاص يملكون عشرين ملياراً، وقد ينجح في تسلّم منصب رفيع، وقد ينجح، وقد ينجح، لكن الفلاح هو الذي حقق الهدف من وجوده، قال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٥٧]

لماذا خلق الإنسان؟ خلق لجنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أنت مخلوق لجنة عرضها السموات والأرض.
دليل آخر قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود: ١١٩]

خلقنا ربنا ليرحمنا في الدنيا والآخرة.

قضية الدين قضية مصيرية :

لذلك أيها الأخوة الأكارم؛ قضية الدين قضية مصيرية، قضية سعادة أو شقاء، استقرار أو ضياع، قضية وجدان أو انعدام، قضية مصيرية للإنسان فلا بد من طلب العلم، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل الإنسان عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيريحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

أيها الأخوة الكرام؛ القضية مصيرية، قضية وجود أو عدم وجود، سعادة أو شقاء، توفيق أو عدم توفيق، فالحاجة إلى الدين حاجة مصيرية، فلذلك الله عز وجل قال:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

عندما قبل حمل الأمانة كان المخلوق الأول.

كليات الدين :

أيها الأخوة الكرام؛ هناك تفاصيل لا تنتهي، هناك مئات الموضوعات بل ألوف بل مئات الألوف، ولكن إذا أردت أن أقف على كليات الدين، أساسيات الدين، لا بد من أن نقف عندها وقفة متأنية. أول شيء في كليات الدين العقيدة، إن صحت العقيدة صح العمل، وإن فسدت فسد العمل، إذاً لا بد من وقت تقطعه من وقتك لمعرفة سرّ وجودك، وغاية وجودك، هذا الوقت التي تقطعه من وقتك لمعرفة سرّ وجودك وغاية وجودك ليس وقتاً مستهلكاً، بل هو وقت مستثمر، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

الآن يوجد أمر وهو الله عز وجل، و يوجد أمر افعل ولا تفعل، الأحكام الشرعية، هذا الأمر كيف أعرفه؟ الحقيقة الأمر لا تدركه الأبصار ولكن العقول تصل إليه من خلال التفكير في خلق السموات والأرض، والآية تقول:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١]

نحن أمام آيات، والدليل قال تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية : ٦]

أمام آيات كونية هي خلقه، وآيات تكوينية أفعاله، وآيات قرآنية كلامه، آياته الكونية والتكوينية والقرآنية أدوات سالكة رائجة لمعرفة الله، من هنا كان في القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان، آية الأمر تقتضي أن نأتمر، وآية النهي تقتضي أن ننتهي، آية القصة تقتضي أن نتعظ، ماذا فعل بألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان؟

سؤال دقيق جداً: هذه الآيات من أجل أن نتفكر في خلق السموات والأرض والأصل في هذا الموضوع قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١]

ومضات سريعة من التفكير في خلق السموات والأرض :

ومضات سريعة من التفكير في خلق السموات والأرض، أخوتنا الكرام؛ الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي يدخل في جوف الشمس مليون وثلاثمئة ألف أرض، بين الشمس والأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، الآن قال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

[سورة البروج: ١]

الأرض في دورتها حول الشمس تمر باثني عشر برجاً، أحد هذه الأبراج اسمه برج العقرب، هذا البرج فيه نجم صغير أحمر متألق اسمه قلب العقرب، هذا النجم الصغير الأحمر المتألق يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذه من مسلمات علم الفلك، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا
ولذ بحمانا واحتم بجنابنا
لنحميك مما فيه أشرار خلقتنا
وعن ذكرنا لا يشغلنا شاغل
وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن
فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
فيا خجلي منه إذا هو قال لي
أيا عبدنا ما قرأت كتابنا
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى
أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما أن تقلع عن الذنب راجعاً
وتنظر ما به جاء وعدنا

فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

الآن دقق:

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو نقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلنا

أيها الأخوة الكرام؛ أصل الدين معرفة الله.

ومضة كونية ثانية؛ الأرض تدور حول الشمس، طبعاً هذه الدورة في كل عام، القمر يدور حول الأرض دورة كل شهر، لو وصلنا خطأ بين مركز الأرض ومركز القمر، هذا الخط هو نصف قطر الأرض مع نصف قطر القمر مع المسافة بين الأرض والقمر، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، لو ضربنا هذا الرقم باثنين، لكان القطر، لو ضربنا بالبي ٣,١٤ لكان المحيط، لو ضربناه باثني عشر في سنة، ضرب ألف بألف سنة، نحسب كم هي المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، أنت معك رقم الآن، كم هي المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، إذا قسمنا المسافة على الزمن، الجواب السرعة، لو قسمناها على ألف السرعة بألف، على ثلاثمئة وخمسة وستين السرعة بالسنة، على أربعة وعشرين السرعة بالساعة، على ستين السرعة بالدقيقة، على ستين السرعة بالثانية، إنها سرعة الضوء، هذا أنشتاين عالم فيزيائي كبير، يقول: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوةً هي أقوى ما تكون، عليمَةٌ هي أعلم ما تكون، رحيمَةٌ هي أرحم ما تكون، هو إنسانٌ حي ولكنه ميت.

أنشتاين عالم فيزيائي كبير اكتشف السرعة المطلقة في الكون، فما قولك أن هذه السرعة مدرجة في كلمات في آية واحدة في القرآن الكريم، ما هي الآية؟ قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: ٤٧]

أي ما يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعها الضوء في يوم واحد، تقسيم أربع وعشرين، تقسيم ستين تقسيم ستين سرعة الضوء، هل يعقل هذه النظرية العملاقة النظرية النسبية نظرية أنشتاين نراها مدرجة في القرآن الكريم؟

لذلك أيها الأخوة الكرام؛ الأنبياء السابقون جاؤوا بمعجزات لكنها حسية، والمعجزة الحسية كتألق عود الثقاب تتألق وتتطفئ، إلا أن هذا الدين العظيم آخر الأديان، والرسالة خاتمة الرسالات، ونبينا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا بد من أن تكون المعجزة التي هي شهادة الله له أن

تكون مستمرة، ولا تكون مستمرة إلا إذا كانت علمية، نحن أمام آيات تزيد عن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، هذه الآيات فيها سبق علمي، النظرية العلمية العملاقة جاء بها أنشتاين مدرجة بكلمات في القرآن الكريم.

بعد اكتشاف أشعة الليزر، هذه تنطلق إلى مكان وتعود تقاس بها المسافات، وهي اكتشاف حديث، بعد اكتشاف هذه الأشعة قيست المسافة بين الأرض والشمس والأرض والقمر ثم استخدمت في غور فلسطين، فرأوا أن أعماق مكان على سطح الأرض هو غور فلسطين، والمعركة التي تمت بين الفرس والروم في غور فلسطين، والآية تقول:

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم: ٢-٣]

إعجاز علمي قال تعالى:

﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

[سورة الروم: ٣]

حرص الإنسان على سلامته و سعادته يكون باتباع تعليمات الصانع :

أيها الأخوة الكرام؛ إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً. لذلك محور هذا اللقاء الطيب كليات الدين، أحد أكبر كلياته العقيدة، إن صحت العقيدة صح العمل، وإن فسدت فسد العمل، سمها عقيدة، سمها منطلقات نظرية، سمها تطورات، مراد ذلك شيء واحد الجانب العقدي، الجانب الفكري، هذه إن صحت صح العمل، بعد هذا الجانب يوجد جانب آخر، الاستقامة على أمر الله، لماذا؟ لأن الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة بالغة التعقيد صانع عظيم، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، وانطلاقاً من حرصك اللامحدود على سلامتك وعلى سعادتك وعلى استمرارك ينبغي أن تتبع تعليمات الصانع، أي هناك قوانين مشتركة بين كل البشر، الآن على وجه الأرض سبعة مليارات ومئتا مليون إنسان، هل يوجد قواسم مشتركة بين كل هؤلاء؟ هل هناك إنسان واحد من هؤلاء البشر مهما اختلف دينه وعرقه يتمنى الشقاء؟ يتمنى الفقر؟ يتمنى المرض؟ مستحيل، فأى إنسان جبل على حب ذاته، أنت بالغ التعقيد، تعقيد إعجاز، سلامتك باتباع تعليمات الصانع، سلامتك أنت حريص عليها، ولا تكون إلا باتباع تعليمات الصانع، فالإنسان حينما يجب ذاته يستعمل تعليمات الصانع لصالحه، قبل أن تحب أحداً أحب نفسك، إن أحببت نفسك لا بد من أن تستقيم على أمر الله.

هناك جانب عقدي لا بد من أن تقتنع وقتاً لمعرفة الله، إنسان يمضي المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ويدخل الجامعة الفرع الأدبي، أو الفرع العلمي، بكالوريوس ودبلومات عامة وخاصة ودكتوراه، خمس وعشرون سنة دراسة ليضيف كلمة دال على اسمه، تعبر عن خمس وعشرين سنة

دراسة بمعرفة الله، معرفة هذا الإله العظيم، وقد خلقنا لجنة عرضها السموات والأرض، إذاً ألا يلزم أن نقتطع من وقتنا وقتاً لمعرفة الله؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١]

آيات الله في النفس :

الله عز وجل قال:

﴿ سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت: ٥٣]

هذا الشعر هل تصدقون أن لكل شعرة شريانا و وريداً و عصباً و عضلة و غدة دهنية و غدة صبغية، ألا ترون معي من حكمة الله البالغة أنه لا يوجد أعصاب حس في الشعر، لو كان له أعصاب حس أنت مضطر أن تذهب إلى المستشفى لحلق شعرك و بالتالي ستخدر تخديراً كاملاً. هذه العين فيها عدسة، إذا وضعت أمامها شيئاً مضيئاً، تنعكس الأشعة على الشبكية أو على ورقة مقوى وهي المحرق فترى الأشياء، معنى هذا أن هناك عضلات هديبية فوق العدسة تضغطها فيزداد احتدادها، أو تبعدها عن بعضها فيقل احتدادها، هذه العملية أعقد عملية في العين، تتم وأنت لا تشعر، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد: ٨]

في الدماغ مئة و أربعون مليار خلية سمراء استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، القشرة الدماغية فيها أربعة عشر مليار خلية، يوجد على القشرة أماكن للذاكرة بحجم حبة العدس، تنتسح لسبعين مليار صورة، هذا خلق الإنسان، الإنسان إذا فكر في حركته، سكناته، أعصابه، حواسه الخمس هذا التفكير يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله.

جواب الدين :

١ . الجانب النفسي الأيديولوجي :

أيها الأخوة الكرام؛ هذا الدين فيه كليات، بدأنا بكلية العقيدة الجانب الأيديولوجي، الأسماء والمعنى واحد، الاعتقاد، الأيديولوجيا، السلوك، هناك منهج لله عز وجل في الكتاب والسنة، افعَل ولا تفعل،

هناك شيء مباح، وشيء مكروه، وحرام، أنت حينما تتبع منهج الله عز وجل تتألق، تطمئن، قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

أنت انطلاقاً من حرصك اللا محدود على سلامتك وسعادتك ينبغي أن تتبع تعليمات الصانع، والإنسان كما تعلمون يحب الجمال والكمال والنوال، الشيء الجميل محبوب، والعطاء محبوب، والكمال محبوب، موقف أخلاقي، عطاء كبير، شيء جميل، والجمال والكمال والنوال عند الله.

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

هناك جانب عقدي، أيديولوجي، نظري، منطلقات نظرية، فلسفة سمّها ما شئت، هذا الشيء لا بد من طلبه، إن صحت عقيدتك صح عملك، وإن لم تصح العقيدة فسد العمل، هذا أول شيء.

٢ . جانب الاستقامة على أمر الله :

الشيء الثاني لا بد من أن تستقيم على أمر الله، اعمل ولا تفعل، لأن الله عز وجل هو الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَنْبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

أنت بحاجة إلى تعليمات الصانع، إذا لا بد من طلب العلم، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل الإنسان عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

٣ . جانب العمل الصالح :

أيها الأخوة الكرام؛ أول جانب عقدي أيديولوجي، فلسفي نظري، الجانب الثاني سلوكي، هذا الجانب نوعان، استقامة وعمل صالح، الاستقامة، يقول لك: أنا ما أكلت ما لا حراماً، أنا ما كذبت، أنا ما غششت، أنا ما زورت، الاستقامة طابعها سلبي ترك، والعمل الصالح طابعه إيجابي، أنفقت من مالي، من وقتي، من خبرتي، من علمي، من صحتي، جانب استقامي وجانب عمل صالح، أول ركن الجانب النفسي الأيديولوجي، والثاني الترك الاستقامة، والثالث العمل الصالح.

أيها الأخوة الكرام؛ والرابع الاتصال بالله، لذلك قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[سورة البقرة: ١٢٥]

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه: ١٤]

الصلاة ذكر، لكن هذه الصلاة التي هي ذكر تحتاج إلى مقومات، لا بد من تأمين مقوماتها، أحد هذه المقومات الاستقامة، إذا كان هناك خطأ، أو عدوان، أو أكل مال حرام، أو تفلت، هذا ينشئ عداً بينك وبين الله، والآية تقول:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

وأنا لا أرى عقاباً أكبر من أن تحجب عن الله، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

فالخطأ، وعدم الانضباط، والتعامل غير الصحيح، وانفاق الشهوات، بالمناسبة ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، بالإسلام لا يوجد حرمان، والدليل قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

الذي يتبع شهوته وفق منهج الله لا شيء عليه، إذاً جانب ايدولوجي نظري، عقدي، فلسفي، جانب سلوكي سلبي الاستقامة، جانب سلوكي إيجابي العمل الصالح، لذلك الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، تتفق من مالك، من علمك، من وقتك، من خبرتك، قال تعالى:

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[سورة البقرة: ٣]

أنت بالإنفاق تقترب من الله، تتألق مع الله بالإنفاق، بالإنفاق تشعر أنك محبوب عند الله. الشيء الأخير الذكر قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[سورة البقرة: ١٢٥]

إنك إذا أديت الصلاة ذكرتة، وأديت واجب العبودية، لكن إذا ذكرك الله ماذا يكون؟ الذي يحصل أن الله عز وجل منحك نعمة الأمن، أعلى نعمة على الإطلاق، هذه النعمة لا يتمتع بها إلا المؤمن، والدليل قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

ما قال: الأمن لهم، لو قال كذلك لهم ولغيرهم، لكن الآية:

﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

فيها حصر وقصر، أي لا يتمتع بنعمة الأمن إلا المؤمن، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

إذاً أول نعمة من نعم الاتصال بالله نعمة الأمن، النعمة الثانية هذه النعمة من أدق النعم، نعمة الزوجة، قال تعالى:

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[سورة هود: ٨٨]

موفق بزواجه، موفق في بيته مع أولاده، تتألق:

((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا))

[ابن ماجه وأحمد والدارمي عن ثوبان]

هذه نعمة ثانية من نعم الاتصال بالله، وهناك نعمة ثالثة هي السكينة، السكينة سعادة، طمأنينة، نظرة ثاقبة، شخصية قوية، تفاؤل، حكمة، السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدائها ولو ملكت كل شيء، الحكمة والسكينة والأمن.

((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا))

[ابن ماجه وأحمد والدارمي عن ثوبان]

النعم التي تتوافر للمؤمن بعد أن عرف الله واستقام على أمره، فلذلك أيها الأخوة؛ الإنسان إذا عرف الله وعرف منهجه واستقام على أمره دخل بسعادة لا توصف، هذا كلام واقعي، وكل إنسان مشى بهذا الطريق يعلم يقيناً أن هذه النتائج بين يديه.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام؛ لكن الأعمال الصالحة متنوعة، وقد قيل: الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، كل عمل صالح معنى صالح أي يصلح للعرض على الله، والعمل الصالح ينبغي أن يكون خالصاً وصواباً؛ خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، هذا العمل الصالح، من هنا العمل الصالح يرفعك، الاستقامة سلبية، أنا ما أكلت ما لا حراماً، أنا ما كذبت، العمل عطاء، قال تعالى:

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

بل إن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، بل إن علة وجودك في الدنيا العمل الصالح، والدليل قال تعالى:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون : ٩٩-١٠٠]

أنا أردت في هذا اللقاء الطيب أن أضع يدي على الكتل الكبرى في الدين، عقيدة، استقامة، عمل صالح، والاتصال بالله، إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبب الله عبداً منحه خلقاً حسناً.

الإنسان عندما يقف على بنیان الدين، على الكتل الكبيرة في الدين يتحرك وفق منهج الله، لذلك إذا قال لك المؤمن: ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أنتقي مني، أنت متاح لك أن تكون أسعد الناس، وقيل من أسعد الناس؟ أسعد الناس من يسعد الناس.
يا أيها الأخوة الكرام؛ الدين قضية مصيرية، قضية نكون أو لا نكون، سعادة أو شقاء، توفيق ما بعده توفيق، سكينه، والدين منهج الله عز وجل، والجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

الآن بيتك، البيت فيه سكينه، فيه توفيق، فيه زوجة صالحة، أولاد أبرار، هذا كله بين يديك، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا))

[ابن ماجه وأحمد والدارمي عن ثوبان]

الاستقامة والعمل الصالح يسعدك، فلذلك أنت أسعد الناس إذا أسعدت الناس.

الكون هو الثابت الأول :

أيها الأخوة الكرام؛ هذه بعض كليات الدين، لكن هناك مثلاً آخر، هذا الكون العملاق، هذا الكون يشف عن وجود الله، ووجدانيته، وكماله، هذا الكون هو الثابت الأول، فكل شيء في الكون يدل على الله، كل شيء في هذا الكون يشف عن وجود الله، ووجدانيته، وكماله، الآن الاستقامة أحد أركان الدين، ترك الحرام، الكذب، الغش، الإيذاء، العمل الصالح يساوي حجمك عند الله، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وفي النهاية الصلاة:

((الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين))

[البهقي في شعب الإيمان عن عمر]

و الصلاة معراج المؤمن، أنت تتصل بالرحيم، تشتق منه الرحمة، فمن لا يرحم لا يرحم، تتصل بالحكيم تشتق منه الحكمة، أنت حكيم، تتصل بكل الكمالات الإلهية، هي عند الله عز وجل، إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبب الله عبداً منحه خلقاً حسناً.

فيا أيها الأخوة الكرام؛ نحن في أشد الحاجة لفهم الدين فهماً إيمانياً، فهم عطاء، الله عز وجل جميل يحب الجمال، كما قلت قبل قليل:

**أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإننا منحنا بالرضا من أحببنا
فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا**

فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم مفتاح الطريق إلى الله عز وجل، وطلب العلم فريضة على كل مسلم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن توفقوا إلى ما يحب الله ويرضى، ونسأله أن يحفظ لكم إيمانكم وأهلكم وأولادكم وصحتكم ومالكم واستقرار بلادكم.

والحمد لله رب العالمين